شعر المديح النبوي عند الشيخ الصابونابي
دراسة أدبية نقدية

بكري الناير محمد الزين– جامعة سنار

المستخلص :

كان لشعراء التصوف دور بارز في نشر الإسلام في ربوع السودان المختلفة، إذ استطاعوا أن يقدموا الإسلام بأسلوب سلس نابع من البيئة السودانية، فنظموا الأشعار والقصائد المدحية بأسلوب يفهمه عامة الناس، متناولين سيرة المصطفي صلي الله عليه وسلم العطرة وما اشتملت عليه من فضائل وشمائل ونفائس معبرين عن حبهم له، فساهموا في نشر الوعي الإسلامي بين الناس وكان دورهم عظيماً ومشهوداً. منهم علي سبيل المثال الشيخ محمد الصابونابي الذي هو علم من أعلام التصوف في السودان. والذي عكف علي تأليف الدواوين والأشعار في المديح النبوي، والمؤلفات في التوحيد والمواريث والصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم. وامتد أثره ليشمل السودان كافة.

Abstract:

The scholars of mysticism played aleading role in The spread of Islam in the different parts of the Sudan. They were able to present Islam in a smooth style which had originated from the Sudanese environment. The composed poems praising the prophet Mohamed (peace be upon him)in a simple language and style which can be undestood by ordinary men. They dealt with the sira of the prophet and its noble components. They expressed the love for Him and participated in spreading Islamic awakening among the people. These scholars played avery important role. For example, among these scholars was sheikh Mohamed ALSabonabi who was a great scholar of mysticism the Sudan. He had composed poems praising the prophet and had compiled books onTawheed, Mawarth and prayers on the prophet peace be upon Him. His efforts were extended to include the whole Sudan.

الكلمات المفتاحية :التصوف – قرية الصابونابي – مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

المقدمة :

كان هناكعلي مدي التاريخ أُناس مصلحون،اجتمعت قلوب الناس حولهم،وذلك لما اشتملت عليه نفوسهم من صفات وسجايا حميدة جعلت أفئدة الناس تهوي إليهم،وعندما أتى الإسلام برز رجال صالحون جعلوا الرسول الأعظم صلي الله عليه وسلم قدوةً لهم، فتمثلوا صفاته وأخلاقه وأصبحوا نبراساً يضي للناس معالم الطريق، ساروا علي خطى المصطفى صلي الله عليه وسلم، اتبعوا قائدهمأينما يقودهمويستقيمونعلي الطريق ويقيمونالدين ويؤسسوا دولة الإسلام، وكان الشيخ الصابونابي أحد هؤلاء الرجال الأفذاذ الذين ساروا علي هذا النهج .

أهمية الدراسة :

1/ التعريف برمز من رموز الدعوة الإسلاميةولسهاماته الأدبية والفكرية .

2/ التعرف علي الأعمال الجليلة التي قام بها الشيخ الصابونابي في نشر الإسلام بمناطق الأنقسنا جنوب النيل الأزرق .

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة للأتي :

1/ الوقوف علي سيرة أحد أعلام التصوف وما قام به من أعمال جليلة في مجال الدعوة .

2/ الوقوف علي الأسلوب الدعوي للشيخ الصابونابي من خلال النص الشعري المتمثل في المديح النبوي .

3/ الوقوف علي المعاني البيانية ، والبلاغية واللغوية في مديح الشيخ الصابونابي .

منهج الدراسة :

اتبعت الدراسةالمنهج التاريخي الوصفي في الحديث عن الشيخ الصابونابي وإسهاماته الجليلة في نشر الإسلام وتبيان مقاصده في المناطق الوثنية، وإظهار حبه للنبي صلي الله عليه وسلم من خلال نماذج من أشعاره النبوية

التحليل والمناقشة

نبذة تعريفية عن الشيخ محمد الصابونابي:

مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن المهدي بن الشيخ عبد الله الصابونابي بقرية (أم طاهر) *في العام (1898م) ثم انتقل بعد ذلك مع والده إلى قرية (الصابونابي)،** نشأ وترعرع على التقى والإيمان، متفرداً في نشأته بإنقطاعه للعبادة وهيامه في حب المصطفىε منذ صغره . تولى خلافة والده في بواكير شبابه،فكان زاهداً ورعاً تقياًصافى السريرة أحبه كل من تعرف عليه، جدد تأسيس مسجد والده في منطقة الصابونابي الحالية، وأمه الناس من كل حدب وصوب، طلبا للعلم والإرشاد فكان نعم المعلم والمرشد والمربي.

حقيقة اسم الصابونابي:

يرجع هذا الاسم إلى جده الأكبر، الشيخ سليمان الصابونابي العامري الحسيني، الذي جاء إلى السودان من مصر في عهد السلطنة الزرقاء، ومكث في أرقو شمال السودان ثم اتجه جنوباً إلى الخرطوم، وكانتله خلاوى لتدريس القرآن، ومسجدٌوحلقات للذكروالعلم، ثم انتقل إلى سنار عاصمة السلطنة الزرقاء آنذاك،ثم انتقل أبناءه جنوبا إلى عدة مواقع منها قرية الشيخ عبد الله الصابونابي جنوب مدينة سنار وغرب مايرنو والتي يوجد بها قبره الآن، ثم قرية أم نمل وقرية أم طاهر. واستقر بهم المقام في قرية الصابونابي الحالية، وينسب هذا الاسم إلى الشيخ سليمان كما أسلفنا الذي جاء إلى السلطنة الزرقاء فوجد فيها حاكما يسمى (المك) بادي، واتخذ هذا الحاكم مصارعا قويا مقابل قضاء حوائج الناس أي بمعنى أنه كل من يريد قضاء حاجة له عليه أن يتصارع مع هذا المصارع أولاً فإذا تغلب على المصارع يُعطى مايريد، وقد ترك هذا أثراً في نفوس الناس، وأصبحوا لا يتقدمون بطلباتهم (للمك) تفاديا للعراك مع هذا المصارع، وعندما تقدم الشيخ بطلب له وجد هذا الشرط قائما، فوافق على مصارعة الرجل صاحب البنية القوية، و كان الشيخ

ضعيفا ونحيل الجسم،لأنه كان زاهدا وذاكرا فاستعان بالله عليه، وبقوة الإيمان صرعه، وقال له صوبناك أي طهرناك، وفى رواية أخرى أبعدناك من هذه المنطقة فارتاح السكان من شر هذا المصارع، وسمى الشيخ سليمان بعد ذاك باسم الشيخ الصابونابي، وتسمى أبناؤه من بعد ذلك بهذا الاسم إلى يومنا هذا. (1) (الصابونابي،الطيب،2006م)

نسبه وطريقته:

ينسب الشيخ محمد الصابونابي إلى قبيلة العوامرة، وفد أجداده من مصر من منطقة دراو التي يوجد بها قبرا جديه عامر وعمران اللذين ينتسبان إلى سيدنا الحسين بن على رضي الله عنهما. طريقته هي الطريقة السمانية، التي أدخلها الشيخ أحمد الطيب بن البشير ψ إلى السودان، والذي أخذها من الشيخ محمد بن عبدالكريم السمان ψ، بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وكان جده الشيخ عبد الله الصابونابي ψ أحد تلاميذ الشيخ أحمد الطيب الأبكار والذي ذهب برفقة الشيخ التوم ودبانقا ψ وأخذا الطريق منه وتآخيا في الله، ونشأت بينهما مودة عظيمة وتعاهدا فيها بالسير على طريق القوم، وعند وفاة الشيخ عبد الله نعاه الشيخ التوم بأبيات جاء فيها.

يا ليلى صابونك راح سكن ** الجنة أم نسيماً فاح+

يقول الأستاذ عبد المحمود نور الدائم في كتابه (أزاهير الرياض) وهو الكتاب الوحيد الذي وثق لآل لصابونابي ضمن توثيقه لعدد من الصالحين في بلاد السودان، متحدثاً عن جدهم الشيخ عبدالله الصابونابي حيث يقول " ومنهم الأستاذ الكبير، والولي الشهير الشهيد داره ، من صبغ المحبين بهديه وأسراره، صاحب الكرامات الظاهرة ، والأحوال الفاخرة ، والمقامات السنية ، والهمم العلية، الشيخ عبدالله بن الفقيه محمد بن الشيخ عبدالله بن الفقيه علي بن الشيخ عبدالله أبي قرين ابن الفقيه علي بن الشيخ سليمان الصابونابي، السماني طريقةً العامري نسباً. وكان رضي الله عنه هو وسيدي محمد توم ودبانقا اخوين في الطريق،لأنهما قد ذهبا الي سيدي الشيخ أحمد الطيب وتلقنا منه الطريق، ولاتحاد روحيهما انتقلا الي البرزخ في عام واحد ومابين وفاتهما إلا يومين فقط هذا بالخميس وذاك بالأحد ولد سيدي الشيخ عبدالله الصابونابي في سنة 1203هـ وتوفي يوم الخميس الموافق 2من شهر ذوالقعدة 12068هـ، وله من العمر خمس وستون سنة . عندما تعرض لهجوم من قبيلة الدينكا إحدى القبائل النيلية من جنوب السودان، حيث قتل هناك شهيداً حميداً ومعه تلامذته وأولاده بداره التي تقع جنوب سنار المدينة. وهذه القرية التي تأسست من عهد الجد الأكبرالشيخ سليمان الذي اشتهر به اسم الصابونابي، وكان ساكناً بالخرطوم، واستقر بها من بعد حضوره من بلدة أجداده التي تسمي دراو، وهي من أعمال مصر، وبها مشهد الأستاذين الجليلين السيد عامر والسيد عمران، وبعد ذلك فقد رأي الشيخ أن يسكن بجهة الصعيد بعد الاستخارة هو وأتباعه. وقام لمقابلة ملك سنار وذلك في عهد السلطنة الزرقاء، وطلب منه أرضا يسكنها بمن معه، وكان *لهذا الملك رجل* ملاكم قد اختاره من رجال دولته للمصارعة، فلما حضر الشيخ المذكور قال الملك له ليس لي مانع من إعطائك بقعة تسكنها، ولكن بعد مصارعتك لهذا الملاكم . فإذا صرعته فلك ما شئت، وإلا فلا حاجة لك عندي، فاستعان الشيخ بالله تعالي، وتصارعا فصرعه الشيخ، وقام مرة أخري فصرعه الشيخ أيضا، فعند ذلك عظم في عين الملك وعلم أن صرعه لذلك الرجل القوي كرامة له، وقد أنجز وعده مع الشيخ بإعطائه الأرض التي هي جنوب سنار المذكورة آنفاً، وهي التي وصل إليها سيدي إبراهيم الدسوقي بن سيدي الشيخ أحمد الطيب لعزاء سيدي الشيخ المصطفي في والده الشيخ

عبدالله الشهيد المترجم له، ولم يكن قابله في ذاك الوقت وقد قابله مرة أخرى، وقد خربت تلك الدار ولم تعمر حتي الآن، وذلك علي لسان ابنه الخليفة بعده الشيخ مصطفي رحمه الله تعالي.

ومن كراماته رضي الله عنه أن له من الأولاد ما ينوف علي العشرين، وقد ذهب بعد أن أنجب هؤلاء الأولاد إلى امرأة من القواعد، وأعلن خطبتها من أهلها، فأبوا أن يزوجوه بها لعلمهم أن عندهم من هي أجمل منها وأصغر سناً وهذه لا تليق به،فقال لهم إن أعطيتمونيها ففيها رحمة لي ولكم، فلم يسعهم بعد مقالته تلك إلا تزويجهم لها منه، وقد رزق منها ولدان، هما الشيخ المصطفي وأخوه المهدي .

وقد تحققت إشارة الشيخ بأن خلفاءه وورثة بركته هم الموجدون الآن، وأنهم من نسل تلك المرأة، ولم يكن من نسل العشرين المذكورين سابقاً غير واحد وهو الآن بكردفان، ولم تكن له ذرية والله اعلم بما كان وما سيكون ." (2)(أزاهير الرياض، نور الدائم، عبدالمحمود،2012م)

إسهاماته في مجال الدعوة:

تولى الشيخ محمد الصابونابي،خلافة والده الشيخ أحمد، فكان خير خلف لخير سلف، فقد سار على درب أجداده في نشر طريق التصوف في منطقة الصابونابي، حيث استفاد من ذلك عدد كثير من الناس، وقد ألف الشيخ محمد الصابونابيψعدداً من المدائح النبوية التي لم يزل يتداولها الناس، وتتناولها وسائل الإعلام كالإذاعة والتلفزيون، وقد ألف العديد من المؤلفات في التوحيد، والمواريث، والصلاةعلى النبي صلي الله عليه سلم ، ومازالت خلاويه تقوم بدور كبير في تحفيظ القرآن وتدريسه،وأمَّها الطلاب من جميع أنحاء السودان ومن الدول المجاورة، مثل: أثيوبيا واريتريا وتشاد، وساهم الشيخ في نشر الإسلام في مناطق الأنقسنا جنوب النيل الأزرق، وأسلم على يديه العديد من الوثنيين، والزائر لتلك المناطق يجد الأثر الكبير الذي خلفه الشيخ الصابونابي بانتشار المساجد وخلاوى تحفيظ القرآن الكريم، وبلغ عدد الزوايا(مساجد صغيرة) والخلاوي مئة وثلاثين فأصبحت منارات تنير تلك المنطقة والمناطق المجاورة على ضفتي النيل الأزرق بإشراف أخيه الشيخ الهادي الصابونابي عليه الرحمة ومن بعده أبنائه الشيخ مصطفي والشيخ الطيب شيخ خلاوى القرآن.

ومازال الوثنيون يتوافدون كل عام يعلنون إسلامهم في أعياد المولد النبوي الشريف، الذي يقام سنوياً بالصابونابي، ويحضر هؤلاء المريدون في أعداد كبيرة معهم من أسلم حديثا لكي يتزودوا بالعلم والمعرفة وأصول الإسلام الصحيح.

وقد أحدثت ابنة الشيخ الصابونابي الشيخة ليلي أثراً كبيراً في أوساط النساء،بإقامة الخلاوي وجمعيات الصلاة علي الرسول صلي الله عليه وسلم في ولاية سنار والولايات المجاورة، مقتفية أثر والدها في نشرالدعوة فأحدثت نقلة كبيرة بإزالة الأمية المتفشية وسط النساء، فكرمتها رئاسة الجمهورية بنجمة الإنجاز تقديراً لهذا الجهد العظيم. وقد شاهد الباحث حفل التكريم من خلال أجهزة الإعلام.

حب الشيخ الصابونابي للنبيε:

وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم:

إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم الواجبات في الدين ومن أعظم الحقوق الواجبة علينا تجاهه. وعلى هذا دل القرآن والسنة ومن هذه الأدلة:

1- قوله تعالى:{قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ

لاَ يَـهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }(التوبة24)،"دلت هذه الآية على وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم وليس ذلك فقط، بل يجب أن تكن هذه المحبة مقدمة على كل محبوب كالأب والابن والأخ ... "(2) (القرطبي ،محمد،1964م).

قال القاضي عياض:"كفى بهذه الآية حظا وتنبيها ودلالة وحجة على لزوم محبته ووجوب فرضها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم؛ إذ ذكر تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله أوعدهم بقوله تعالى (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره)، ثم فسقهم بتمام الآية و أعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله"(3).(عياض، القاضي ،1984م)

2–ثبت في البخاري من حديث عمر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شي إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له: عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الآن يا عمر"(4).(البخاري ،محمد810م)

3–عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده"(5).(مسلم،الحجاج،1954م)

4–عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"(6). (البخاري ،محمد810م)

5–عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"(7) (البخاري ،محمد810م)

6–عن أنس بن مالك قال:"جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة ؟ قال: وما أعددت للساعة ؟ قال: حب الله ورسوله قال فإنك مع من أحببت.قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: فإنك مع من أحببت، قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم"(8)).(مسلم،الحجاج،1954م)

هذه الأحاديث وغيرها تدل على وجوب محبة النبي وعظمها في الدين و لهذا كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشد الناس حبا له صلى الله عليه وسلم فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجلَّ في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه(9)).(مسلم،الحجاج،1954م)

سئل عليين أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: "كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ"(10) (البخاري ،محمد810م)

من الصعب على كثير من الناس أن يفهموا ما يفعله حب الله وحب رسوله (صلى الله عليه وسلم) بالمحبين، وحسبنا أن محبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بارزة في شعر شاعرنا الشيخ الصابونابي، وأنه أبدع وأجاد في التعبير عنها، وأن قصائده في ذلك، قد توفر لها من جلال الموضوع وجمال التعبير ما جعلها إشراقات تستحق الوقوف أمامها والتدبر فيها والاستمتاع بها، فقدنشأ الشيخ الصابونابىψ وترعرع في حب المصطفى ε منذ صغره كما قال في أول قصائده:

ياشفيع الأُمة قَلْبي لَيكَ بريْد * * الكَرِيم بـ ـْي عَالـْم من نَشيِّت وَلِيدْ(11) (سالم، عون،2006م)

ويذهب إلى أبعد من ذلك فيقول في إحدى مدائحه:

قبل العرش يـ ُرفع والسماء أنبنا * * الأرواح تحبك يعلم ربنا(12) (سالم، عون،2006م)

إنه حب أزلي تملك الشيخ الصابونابي تجاه المصطفي صلي الله عليه وسلم قبل رفع العرش وقبل خلق السموات الُعلا إنه لحب عجيب سرمدي عبر عنه أيضاً في قصيدته التالية

(الشال منام عيني)حيث قال:

فيأَلَسْتُ متحابين أصبحنا متصاحبين * * في الحب متقاربين لي بعضنا طالبين

الطوق يداني الطوق والذوق يذوق الذوق* *كل حد لصاحبوا معين يتبع أوامرو(13) (سالم، عون،2006م)

بَيّن الشيخ الصابونابيτعن ارتباطه الروحي بالحبيب المصطفى ε منذ أن خلق الله الأرواح فيالأزل، اقتبسها من قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)(الأعراف) 172.

وقال: في قصيدته (نور جبينه):

هَبَّ نسـاْم مِنْ ضَريحُو هَيِّج الأشجانْ بِريحُو**

تأَعبَ الكَانْ مُستريحُ ** بالبُ كـاءِ والوَحيحُ

والمُوئْلم زاد نقيحُـو ياكريم تـّوى الجَريحُ**

بزيارة من أريد

الصَلاةُ على الأمينِ ** عَدْ مـاَدارتْ سنينُ

كُلَ إنسان مع قَينُو ** وكـلَاْم كُـلَ حينُ

باللسـانوبالكَمـينِ ابن صابُونْ غَطِ شينُو**

استروا وأهل الصعيُد(14) (سالم، عون،2006م)

ياله من حب شفيف ملأ قلب الشيخ الصابونابي، فيه تهييج للأشجان من بكاءٍ ووحيحٍ وألمٍ، شوقاً لزيارة النبي صلي الله عليه وسلم، ويذهب إلي أبعد من ذلك حين يعبر عن فراقه وما يعتريه من ألم بكلمات مثل شوى أحشاي، أعماني من أبنائي، شمت علّي أعداي، نتيجة للذهول الذي اعتراه من هذا الحب كما جاء في قصيدته (مابمناي):

من فرقك مالي دراية ** حبك شوي أحشاي

أعماني من ابناي ** شمّت على أعداَي(15) (سالم، عون،2006م)

وجاء في قصيدتة (في الدياجى):

هَبَّ نسيما فاح طيبُ جانا **تهُنا والأنوار داهشانا

الغرام والشـوق اعترانا **ما عرفنا الفات والغشانا

والصديق الباروالجفـانا **والذي ملازم معنا

قلبي كالقصدير ذاب وماع(16) (سالم، عون،2006م)

نحن أمام شاعر مرهف ذاب شوقاً للنبي (صلي الله عليه وسلم) فتمعن كلماته: تهنا ، اعترانا ، ذاب ، وماع ، فنجد انه العشق الأبدي الذي ملأ جوانحه .

وقال في قصيدته (الكواكب):

لاح بريق أم سور توه الفكر ** قل نومي دمع العيون قطر

رب ياكريم هون السفر ** انظر أم شباك وأجلى للنظر (17) (سالم، عون،2006م)

كثير من شعراء المديح في السودان يذكرون البرق الذي يظهر من اتجاه الشرق في أشعارهم،لأنه يشير إلي أرض الحجاز التي فيها مقام الرسول صلي الله عليه وسلم وهو البرق القبلي فيهيج مشاعرهم ويؤجج شوقهم فيسمونه" بريق أم سور وبرق الحجاز"،فيقل نومهم كما جاء في إحدى قصائد شاعرنا: (هادي الهدو) إذ قال:

البرق تلوللو شال نومي وسافر ** ومن المنام صحو وأصبحت متيم(18) (سالم، عون،2006م)

فيفعل فيه هذا البرق فعل السحر تحرقاً وشوقاً لرؤية مقام رسول الله صلي الله عليه وسلم والسفر إلى الأراضي المقدسة والنظر إلى الحجرة الشريفة التي فيها ضريح النبي صلي الله عليه وسلم والتي بسببها يجلي نظره بتلك الرؤية، والبرق في القصيدة التالية يهيج الأذى القديم بقلبه المسكون بحب الحبيب صلي الله عليه وسلم، فاحتار شاعرنا كيف يصنع وأصبح الفؤاد مجروح بسبب هذا البرق الذي فعل به الأفاعيل.كما جاءفي قصيدته (نتعوذ بك):

براق الحجازفي الليل البهيم ** هيج لي أذاَى الساكن قديم

أتحيرت كيف اصنع يا نديم ** مجروح الفؤاد الروح تستقيم(19) (سالم، عون،2006م)

وأبدع في قصيدته (بدر الكون) حيث قال:

بدر الكون لابس حلل وأنا عاشقك * * في ملل يا ناسأنا نومي قل

حبـــك وابـــل مـــا هوطـــل * * حب غيـــرك عنـــدي بطـــــل

مـــن أعضـاي فكـــري انتقـــــل* * ساهـــر بحبـــو اشتغـــل

متـــــألـم ودواي قـــــل* * حتـــى النـــوم جـافـــى المقل

اسمـــع منـــي ما حصـــل * * كونو هواي بيـــك اتصل

ود صابون من غير كسـل * * واقف عن طرقـك يسل

ليك تحيـاتو رســل * *سائل عنك وعنـه سل(20) (سالم، عون،2006م)

إنه الحب النبوي الذي هام فيه الشيخ الصابونابي والذي وصفه بالوابل الغزير الذي أبطل عنده كل حب آخر،وشغل فكره وجعله يسهر الليالي من شدة الألم الذي اعتراه والنوم الذي جافى عيونه، لاتصال حبه به صلي الله عليه وسلم ثم ختم قصيدته باسمه في البيت قبل الأخير، وأبدع في البيت الأخير لما اشتمل عليه من معانوموسيقا تطرب لها النفوس وتهز الوجدان،والملاحظ بأن العامية السودانية التي استخدمها الشيخ الصابونابي كانت قريبة جداً من الفصحى وهي ظاهرة في أشعاره التي استعرضناها وهذه القصيدة شاهد علي ذلك، وكثير من قصائده كانت علي هذا المنوال يغلب عليها الشعر الفصيح .

وفى قصيدة (ضاع عقلي) قال:

ضاع عقلي أين يرجعلي ** قلبي بي نارالغرام مقلي

ذاك بريقاًلاح لي قِبْلـى ** طاش فكربغيرالعقلـي(21) (سالم، عون،2006م)

نلحظ أن الشيخ الصابونابيτ يكثر من ذكر "البرق القِبْلي" كما أشرنا من قبل، والذي يشير إلى أرض الحجاز التي فيها الحبيب ε، وهذا البرق يزيد من ولعه وشوقه وهيامه للأراضي المقدسة، كناية عن تعلقه بتلك الأماكن لارتباطها بالمصطفى ε،ويقال إن البرق يعني النور المحمدي،ويعنى أيضاً خفقان القلب

عند المحبين،حيث إنه كلما خطر خاطر بذكر المصطفى، يشتدُّ ولعهم وهيامهم به، ثم ختم القصيدة باسم الشاعر كما درج شعراء المديح على ذلك .

يقول الحاج الجاك++"ودعاه هذا الحب إلى السفر إلى أرض الحجاز مرات عديدة، وفى إحدى زياراته فكر في الإقامة الدائمة، ولم تسمح له السلطات السعودية، لمَّا علموا أن للشيخ اتباع كُثر سوف يفدون للإقامة معه". وله مؤلفات و دواوين من المديح لم تطبع بعد، بها العديد من القصائد المشهورة في مدح المصطفى ε مثل "بلح المدينة"، "والدينو راسي"، "وعظماء الكبائر".

وفاته:

توفي الشيخ الصابونابي إلى رحمة مولاه في 24 أغسطس من العام 1984م بقرية الصابونابي جنوب مدينة سنجة وله قبرٌ يـُزار بها،بعد أن ترك من جلائل الأعمال وحسن السيرة ما يعجز اللسان عن ذكره. كما وصفه ابنه العلامة الشيخ شمس الفلاح رحمه الله (ت2005م) بأنه (كالكبريت الأحمر) [5]*.

مساهماته الفكرية :

له مؤلفات قيمة لم تحقق، ولم تطبع بعد، بها كثير من العلوم، مثل:

1/ مؤلفه في التوحيد،"الدر الجماني""وايماننا بالله لله الدليلان".

2/ مؤلفه في المواريث.

3/ مؤلفه في الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم.

4/ وله ديوان في شعر المدائح، ديوان في "مديح الطار"،"ومديح الرق"،"ومديح السفاين".

نماذج من شعره :

يـُعد الشيخ الصابونابي من الشعراء المكثرين في مجاراة أغاني الحقيبة التي ظهرت في العقد الثاني والثالث من القرن الماضي، ولاتكاد أغنية ظهرت في تلك الفترة إلا وجاراها الشيخ الصابونابي بقصيدة يمتدح فيها الرسول صلي الله عليه وسلم، وسار علي هذا المنوال الشيخ هاشم عبدالمحمود،والذي كان علي صلة ومودة بالشيخ الصابونابي، وقد كانوا يرون بأن هذا اللحن الجميل وهذه المعاني السامية أولي بها الحبيب صلي الله عليه وسلم، لان هذا اللحن أوقع واقرب الي النفس وأكثر تأثيراً.

يقول(26) "الشيخ حسن الفاتح قريب الله [6]*"أبدع الشيخ الصابونابي، حيث أعاد للمدح النبوي صيغته السودانية الأوليالتي نسجت علي منوالها مؤخراً الأغنية السودانية، التي ورد في نموذج منها قول صاحبها:

الكواكب احتفلوا بالقمر * * أم دي روضة درية السمر

يقول الشيخ الصابونابي بعد تغيير الموضوع :

* المقصود من الكبريت الأحمر، هو مادّة كميائية تبدل النحاس ذهباً وهو أغلى من كل شيء يتصوره الإنسان .والكبريت الأحمر كما يقول أرسطو وابن البيطار يضيء ليلاً ويرى ضوءه على بعد فراسخ عدة ما بقي في موضعه، ويذهب آخرون للقول بأن الكبريت الأحمر إنما هو معدن يوجد في وادي النمل الذي سار فيه سليمان، وقد عرّف الرازي أن الكبريت الأحمر لا يوجد على شكل معدن، ويقرر الجاحظ في كتابه رسالة" في الجِدّ والهزل" ندرة هذا النوع من الكبريت فهو معدن نادر ثمين يضرب به المثل في ندرة الشئ فيقال في الأمثال :أثمن من الذهب وأندر من الكبريت الأحمر ويقال أعز مطلباً من الكبريت الأحمر (صعب المنال).نقلاً عن شبكة ومنتديات قدماء.

الكواكب اجتمعوا بالسحر * * أم دي قبة المصطفي الأمر

هذا الأمر يقودنا للحديث عن المعارضة الشعرية في الأدب العربي التي انتهجها الشيخ الصابونابي في معارضته لاغاني الحقيبة حيث أن المعارضة شي قديم وتعد فن من فنون الشعر العربي، نبدأ بتعريفها وإيراد نماذج منها .

المعارضة الشعرية :

في سياق التعريف بالمعارضة الشعرية يقول :" أحمد الشايب (المعارضة) من عارضه في السير إذا سار حِياله وحاذاه، وعارضه بمثل ما صنع أي أتى بمثل ما أتى به، وفعل مثل ما فعل، وهذه المسألة عَوض هذه أي نظيرها، ومعارض الكلام ومعاريضه كلام يشبه بعضه بعضا والمعارضة المباراة، هذه خلاصة المعنى اللغوي [لسان العرب] وهو حسي أولا في السير والعمل، ومعنوي في القول ونحوه.والمعارضة في الشعر أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة، فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها، وفي موضوعها أو مع انحراف عنه يسير أو كثير، حريصا على ما يتعلق بالأولى في درجتها الفنية أو يفوقه فيها دون أن يعرِض لهجائه أو سبِّه، ودون أن يكون فخره علانية؛ فيأتي بمعان أو صور بإزاء الأولى تبلغ درجتها في الجمال الفني أو تسمو عليها بالعمق أو حسن التعليل، أو جمال التمثيل، أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة، فالمعارض يقف من صاحبه موقف المقلد المعجَب، أو المعترف ببراعته على كل حال، ومُناط المعارضة هو الجانب الفني وحسن الأداء،"(22).(الشايب،احمد،1998م)

قام أحمد شوقي بمعارضة ابن زيدون في قصيدته (النونية) التي يقول: في مطلعها (23)(كيلاني ،كامل،1932م)

ـحَى التّـنائي بـ ـَديلاً عنْـتَـدانينَا	*	**ـابَ عَنْ طيبِ لُـقْيانَاتجافينـ ـَا**
ألاّ وَقَد حانَ صُبحُ البـ ـَينِ،صبّـَحَنا	*	**حَيٌّ فَقَامَ بِنَا للحَيْنِاعينـ ـَا**
مَنْ مبلغُ الملبسينا،بانتزاحِهُم	*	**ـاً مع َ الدهرِ لا يبلوي ُبلينَا**
نَّ الزَمانَ الَّذي مازالَ ِيُضحِكُنا	*	**نساً بِقُربِهُم قَد عادَ ُيبكينـا**

اتفقا في وحدة ثم الموضوع البحر والقافية غالبا، وفي أنهما فنا المنافسة والمباراة بوجه عام.

وقد استهل أحمد شوقي قصيدته التي عارض بها ابن زيدون بقوله:[24](شوقي أحمد (1990م)

يا نائح الطلحأشباه عوادينا * *نشجى لواديك أم تأسى لوادينا؟

ماذا تقص علينا غير أن يدا * *قصت جناحك جالت فى حواشينا

رمى بنا البين أيكاغير سامرنا * *أخا الغريب : وظلا غيرنادينا

كل رمته النوى ريش الفراق لنا * *سهماً وسل عليك البين سكينا

إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدع *من الجناحين عي لا يلبينا**

ويقول "حسن الفاتح قريب الله"في نموذج آخر عن المعارضة الشعرية لاغاني الحقيبة السودانية للشيخ هاشم عبد المحمود، وهو أيضا من الشعراء المكثرين في مجارات أشعار الحقيبة حيث قال:(25)(قريب الله ، حسن الفاتح– 1995م)

أنت بدر السماء في صفاك * * قل لي من عيني مين خفاك

النار يا حبيبي متى أراك

يقول الشيخ هاشم – بعد تغيير الموضوع:

ليك كلي دون اشتراك * * يا مُقدَس جبل البراك

الشوبي يا رسول متى أراك "

وقد ورد بيت الشعر أعلاهكذا كما جاء في المرجع، ولكن كثيراً من العارفين بالشعر الصوفي أشاروا لخطأ في النص جاء في عجز البيت الأول يامقدس جبل البراك فالتقديس لله عز وجل وهنا نَسَبُ للجبل فهذا خطأ،والخطأ الثاني وردت كلمة الشوبي وليس لها معني واضح بل المقصود الشوق حيث يقرأ كالأتي:

لك كلي دون اشتراك * * يامُقدَس جلَّ البراك

الشوق يارسول متي أراك

ويُعد الشيخ الصابونابي من رواد شعر المديح النبوي الشعبي في السودان والذي استطاع أن يجاري كثيراً من الأغاني التي ظهرت في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين كما أسلفنا والتي وجدت رواجا كثيرا وسط الشباب في ذلك الزمان فأراد أن يعيد الشباب الي جادة الطريق وان يحسن توجيهه من خلال شعر المديح النبوي .يقول الدكتور حسين النور في مقالته بمجلة مجمع اللغة العربية بعنوان شعر المديح النبوي دراسة عامة لأشعار فصيحة وأشعار شعبية حيث يقول :" أما أول من ولج باب هذا النوع من أشعار المديح النبوية الشعبية ففيه اختلاف ومعلوم أن التسجيل والتاريخ في بلاد السودان ضعيف للغاية ولهذا من العسير أن يحدد شيء في ذلك إلا عن طريق الروايات الشفهية وكنت اعتقد أن أول رائد لهذا الفن هو الشيخ محمد أحمد الصابونابي ولكن طرقت أذني رواية حديثة تبين أن الشيخ الشريف يوسف محمد الأمين الهندي هو أول من نظم أشعاراً في المديح النبوي يمكن أن تؤدى علي أنغام (الرق) وأن قصيدته التي مطلعها :

صلي يارب للنبي الدخري ** طيب الأصل سامي الفخر

والبيت الأول منها :

هاك ياخلي ساجع القمري ** واسقني صرفاً صافي الخمر

قد صلي قلبي حامي الجمري ** ليت في عمرك زيد من عمري

وهذه القصيدة فيما بلغني لحنت بلحن ظهرت به قصيدة فيما بعد من قصائد الحقيبة إذ أن قصيدة الشريف المذكورة لحنت عام 1918م وقد ظهرت في الحقيبة بعد القصيدة أغنية تشابه هذه المدحة وهي (ضاع صبري)" (25) (النور، حسين،2000م)

والشاهد في الأمرأن مقالة الدكتور حسين النور تلك عززت رأيهالأول بان الشيخ الصابونابي هو أول رائد لفن المديح النبوي علي الحان أغاني الحقيبة في السودان،إذأنأغاني الحقيبة هي التي أتت علي منوال الحان المديح حيث أن الحان المديح النبوي سابقة لألحانأغاني الحقيبة كما جاء في إشارته لقصيدة الشريف الهندي والتي لحنها قبل ظهور أغاني الحقيبة بل الحان الحقيبة هي التي جارت الحان المديح وجاء بعد ذلك الشيخ الصابونابي وجاري الحان المديح للالحان الحقيبة .

ويعبر الشعراء الصوفيون عن محبوبتهمالمدينة المنورة التي بها مقام الرسولε ومسجده وعن مدي حبهم وشوقهم لها فحبها وحب من فيها من مزارات كمقبرة البقيع، وجبل أُحد، ومقام سيدنا حمزة سيد الشهداء، ومسجد قباء، ومسجد القبلتين، وحب كل مايتعلق بها منثآر يُعد من حب النبي صلي الله عليه وسلم، ويرمزون لها بأسماء النساء مثل سعاد كما جاء في قصيدة للشيخ الصابونابي من فن الدوبيت:

من هجران سعاد أنا أصبح نهاري ظلام * * ضيعت الشهور وضيعت للأيام
أرسلي ياسعاد من بلدتك نسام * * ارتاح وانبسط لو ترسلي سهام
لي زمناً عديد ساكن جبال النوبة * * طالت غربتي لاجد ولاحبوبه
متأسف أنا ندمان وباصق التوبة * * الليلة ياسعاد أنا لبلودكم دوبا
من نظرة سعاد صار الفكر في حيرة * * وسعاد أبعدت من البلد والديرة
غرقان البحر بمسكلو في جويره * * وغرقان الغرام ياهو الغطس للجيرة
غير نجم السماء أنا ماوجدت رفيق * * المصحف كمان السبحة والإبريق
يافراج الكرب أنا لي تفرج الضيق * * قبل الموت أجاور الصدقه الصديق
يارب ياكريم لرحمتك وهاب * * قدرت الأمور وجعلت ليها أسباب
الصابونابي طالبا جاك واقفاً بالباب * * اغفر ذنبو وتوب عنه يا تواب(26)

(سالم،عون،2006م)

يقول : مثل ذلك الأستاذ عبد المحمود نور الدائم والذي عبر صراحة عن حبه للنبي صلي الله عليه وسلم :وإن كان من الشعراء المكثرين من شعر الرمز :حيث يقول :

الشوق شوقي والغرام غرامي * * والحب حبي والهيام هيامي
الناس في (سَلمي) و(سُعدي)حبهم * * ومحبتي في المصطفى وغرامي

لرسول رب الخلق ابذل مهجتي * * ورخيصة في حبها أفهامي(27)(قريب الله، حسن الفاتح-1995م)

ومن قصائد الشيخ الصابونابي المشهورة (عظماء الكبائر) والتي نود أن نقف عندها لنتبين أوجه البلاغة فيها

عُظماءِ الكَبائرتَعتمَك شفيعا * * في يَومِ الزِّحامِ يااالقْدَرك رَفْيعا
تسابقوا يا أمم لى من كُلِ ريعَ * *احكيلكم كلام على صاحب الشريعه

يوم العيب يـ َبِينْ والأهوال تريـعَ * * غيرو منواليقوم ويسد الذريعـه
يوم نشر الصحائف الأنفس خضيعه * * كل المرضعات تذهل عن رضيعـا
تحت لوا المكرم كل رفيع وضيعا* * من يتبع كتابه وسنتو لم يضيـع
ظاهرات معجزاتك يالطايع المطيـع* * تبتهج الكواكب من نوركسطـعَ
الأشجار تدانت لأمرك مطيـعه * * جبرت الكسيروووصلت القطيــع
أنت كلا الفضائلسايقها وتبيـعا* * فـالأسواق صارت كل الناس تبيعا
انزوت المكارم فى القامة الربيعه * * حسن الذات مطابق لحسن الطبيعـه
ياطب القلوبالكانت وجيعــه * * ليك كل الفوايتالسابقات رجيعـا
الأفواه تهمهم بمدحك سـجيع * * تصحبه الجسوم صاحيها وضجيعـا
يامن لىصلاةأحبابك سـميعا* * الأرواح تحبك مفردها وجميعـا
آيات قدومك الأصنام صديعـه* * رضوان فى جنانو أظهر شيء بديعا
الأديان جميعا من قبلك وديعـه* * من نورك توارت وانتفت الخديعـه
اصحابو العزاز أرواحهم قنيعه * * خيلهم فى تبوك كم صنعت صنيعـا
هدوا لخيبروحصونالمنيعــه * * أذاقوا لأهلـا الموت الشـنيعـا
تبكى إلى لقاكالأعين دميعــه * * مع كثرة ذنوبا بجـاهك طميعـه
من البراق سهامو فـالأعين وقيعا * * جالت فـالعظـام أمياه النقيعـه
عجل بالمراد ها أنا ليك وقيعـا* * يامن بيك نارت طيبـه ونـاربقيعـا
الصلواتعلاك يا ابقدرا رفيعـا * * ما اجتمعت وفودا حولك لى دفيعــه
الصــابون مدهباليد النفيعه* * كون له حيث كانوالأخوان شفيعـا

ما أجمل ما عبر عنه الشيخ الصابونابيτ من حب للنبي ε فى بعض أبيات هذه ألمدحه حيث عبر عن حب الأرواح له عندما تكون في حالة اجتماعأو في حالة انفراد حيث قال:

يا من لي صلاة أحبابك سميعا * * الأرواح تحبك مفردها وجميعا
تبكى لي لقاك الأعين دميعة * * مع كثرة ذنوبا بجاهك طميعه

عبر عن نشرالقيم الإسلامية العظيمة والفضائل التي أتى بها النبي ε أعظم تعبير حيث قال:

أنت كلا الفضائل سايقها وتبيعـا * * في الأسواق صارت كل الناس تبيعا

وأيضا عبر عن المكارم التي اجتمعت في شخص الرسول الكريم ε أيما تعبير حين قال:

انزوت المكارم فى القامة الربيعة * * حسن الذات مطابق لحسن الطبيعـة

بمعنى اجتمعت كل القيم الفاضلة في شخص الرسول الكريم ε وخَلْقه الجميل الحسن مطابق لخُلقه النبيل قال تعالى في محكم تنزيله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم الآية رقم 4.

وقد علق على هذا البيت(إبراهيم القرشي[7]*) في برنامجه من روائع المديح النبوي بالإذاعة السودانية في احدي حلقاته التي خصصها للحديث عن الشيخ الصابونابي، واستعرض قصيدته عظماء الكبائر وتناولها

بالشرح والتفصيل وتطرق لهذا البيت من القصيدة، وقال أبدع الشيخ الصابونابي وأجاد المدح في هذا البيت ووصفه "بأنه كلام من ذهب".

يوم نشر الصحائف الأنفس خضيعة * * كل المرضعات تذهل عن رضيعا

هو يوم القيامة اقتبسه الماهج القرآن الكريم من قوله تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ" سورة الحج الآية رقم 2-3

استعمل الشيخ الصابونابيτ المحسنات البديعية من جناس وطباق وسجع في عدد من الأبيات في هذه المدحة حين قال :

الأفواه تهمهم بمدحك سجيعة * * تصحبه الجسوم صاحيها وضجيعا

الأديان جميعا من قبلك وديعة * * من نورك توارت وانتفت الخديعه

والمتمعنفي هذه القصيدة يجد فيها كل أنواع البلاغة من كناية وطباق وجناس واستعارة وتشخيص وتجسيم ومجاز فى أسلوب أبدع فيه الشاعر وأجاد وذلك لما حباه الله به من ملكة شعرية متفرده.فى البيت الأول والثاني استعمل الكناية

عظماء الكبائر تعتمدك شفيعا * * فى يوم الزحام يالقدرك رفيعا

في قوله :يالقدرك رفيعا كناية عن النبي ε صاحب القدر الرفيع والمكانة الزلفى عند المولى عزوجل، حيث قال تعالى في محكم تنزيله "وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ" سورة الشرح الآية رقم4.

وفى البيت الثاني:

تسابقوا ياأمم لي من كل ربيعَ * * احكيلكم كلاما على صاحب الشريعة

صاحب الشريعة كناية عن الرسولε وهو الذي أرسله الله عزوجل بالشريعة السمحاء والمحجة البيضاء.وفى البيت الخامس:

تحت لوا المكرم كل رفيع وضيعا * * من يتبع كتابه وسنته لم يضيَع

كل رفيع وضيعا، طباق إيجاب صور فيه يوم المشهد العظيم يوم القيامة بأن الخلق كلهم يكونوا تحت لواء الرسول ε مهما علا شأنهم، وفيه أيضا حث لأُمته على التمسك بالكتابوالسنة لأنها المنقذ من الضياع يوم القيامة.

وفى البيت السادس :

ظاهرات معجزاتك يالطايع المطيع * * تبتهج الكواكب من نورك سطيعا

أيد الله النبي ﷺبالمعجزات الظاهرات تكريماً له،ومن عظمة نوره نار الكون، قال تعالى"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ"، سورة المائدة الآية رقم15. تبتهج الكواكب فيها استعارة مكنية شبه فيها الكواكب بالإنسان

وفى البيت السابع : الأشجار تدانت لأمرك مطيعة * * جبرت الكسير ووصلت القطيع الأشجار تدانت فيها تشخيص؛ لأن الأشجار لاتتحرك شخصّها وهى جماد، وهى أيضا حقيقة أن الأشجار تدنو وتسعى إلى الرسول وتميل إليه معجزة من معجزاته كما جاء في الأثرحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَرِيفٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ قَدْ خُضِّبَ بِالدِّمَاءِ قَدْ ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ فَقَالَ مَالَكَ قَالَ فَعَلَى بِي

هُؤَلَاءِ وَفَعَلُوا قَالَ أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيَكَ آيَةً قَالَ نَعَمْ أَرِنِي فَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي قَالَ ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَدَعَاهَا فَجَاءَتْ حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ قُلْ لَهَا فَلْتَرْجِعْ فَقَالَ لَهَا فَرَجَعَتْ حَتَّى عَلَتْ إِلَى مَكَانِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْبِي(29)(ابن ماجه ،محمد،1945م)

البيت أعلاه الذي اشتمل علي معجزات للنبي صلي الله عليه وسلم وهذه دلالة كبري علي علم الشيخ الصابونابي الواسع بسنة الرسول وسيرته العطرة وإلمامه التام بدقائق السيرة، فقد ذكر في عجز البيت (جبرة الكسير ووصلت القطيعة) و ثبت في صحيح البخاري عن البراء رضي الله عنه أن عبدالله بن عتيك لما قتل أبا رافع ونزل من درجة بيته سقط الي الأرض فانكسر ساقه، قال: فحدثت النبي فقال اُبسط رجلك فبسطتها فمسح عليها فكأنما لم أشكها قط .(30)(العسقلاني ،ابن حجر،1986م)

وجاء أيضا في "دلائل النبوة " للبيهقي ما يؤكد ذلك أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أنبأنا إسماعيل بن عبدالله هو الميكالي حدثنا علي بن سعيد العسكري حدثنا أبو أمية عبدالله بن محمد ابن خلا د الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا المستلم أبوسعيد حدثنا خبيب بن عبدالرحمن بن خبيب عن أبيه عن جده قال أتيت

النبي أنا ورجل من قومي في بعض مغازيه فقلنا إنا نشتهي معك مشهدا قال أسلمتم قلنا لا قال فأنا لا نستعين بالمشركين على المشركين قال فأسلمت وشهدت مع رسول الله فأصابتني ضربة على عاتقي فخانتني فتعلقت يدي فأتيت النبي فتفل فيها وألزقها فالتأمت وبرأت(31)(البيهقي،أحمد،1988م

في البيت الثامن :

أنت كُلّ الفضائل سايقها وتبيعا * * في الأسواق صارت كل الناس تبيعا

فيها تجسيم للفضائل كأنها شي مجسم يُحمل على اليد، وهى أيضا كناية عن النسبة أي أن الفضائل بضائع له يبيع ويشري منها لمن شاء.

البيت الثالث عشر :

تبكى إلي لقاك الأعين دميعه * * مع كثرة ذنوبا بجاهك طميعه

الأعين مجاز مرسل علاقته الجزئية ذكر الجزء وهو العين وأراد الكل وهو الإنسان، وعجز البيت فيه إشارة إلى الشفاعة الكبرى التي حظي بها النبي ε.

هدوا لخيبر وحصونا المنيعه * * أذاقوا لأهلها الموت الشنيعَ

فيه إظهار لشجاعة المسلمين وبسالتهم،وفي دكّ حصون يهود خيبر الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله صلي عليه وسلم، وماذاقوه من ويل وثبور تجاه ما اغترفوه من غدر وخيانة نحو المسلمين، أذاقوا استعارة مكنية فيها تجسيم للموت الذي تجرعوه من أبطال المسلمين.

خاتمة :

هذا غيض من فيض من سيرة الشيخ الصابونابي العطرة، ذكر فيها الباحث نشأته وتحدث فيها عن نشاطاته الفكرية والدعوية،وما قام به من أعمال جليلة في بث الوعي الإسلامي في منطقته والمناطق المجاورة،وفي نشر الإسلام في مناطق قبائل الإنقسنا جنوب النيل الأزرق، وما خلفه من أثر، وما أحدثه من وعي بين مريديه وأحبابه في مجال الدعوة لله، مقدماً المثل والقدوة في التقوى والصدق والإخلاص، بإقتفائه أثر الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم، في حسن الخلق، ولين الجانب، وقضاء حوائج الناس، وتناول جانب من أشعاره في حب الرسول صلي الله عليه وسلم (الحب النبوي) وما اشتملت عليه من حب

أبدي عميق صادق نابع من أعماقه تجاه الرسول الأعظم صلي الله عليه وسلم،وأورد الباحث إحدى قصائده (عظماء الكبائر)ويبيِّن ما فيها من بيان ومعاني وبديع, وذكر إسهاماته الفكرية في مجال التأليف حيث له عددمن المؤلفات القيمة التي تحتاج لتحقيق ونشر لتعم الفائدة منها،ويَ سأل الله العلي القدير أن يتقبل هذا الجهد المتواضع والذي حاول فيه الباحث ماوسعه فهمه و إدراكه من تلمس سيرة الشيخ الصابونابي الجليلة العطرة، وأن يغفر له جُهد المُقِل لتقصيره في مالم يستطع أن يبينه من معان، وفي عدم إحاطته بكل تفاصيل حياته، والله المستعان .

التوصيات:

يوصي الباحث من خلال هذه الدراسة بالأتي:

1/ الاهتمام بالتراث الصوفي لما له من أثر في نشر الدعوة الإسلامية .

2/الاهتمام بجمع مؤلفات الشيخ الصابونابي وتحقيقها ونشرها لكي تعم الفائدة منها .

3/الاهتمام بالمديح النبوي، كوسيلة ناجحة لنشر القيم الفاضلة، وللتبصير بمكانة النبي صلي عليه وسلم .

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم .

(1) الصابونابي، الطيب(2006م) نقلا عن صحيفة رايات العز – العدد 6– السنة الخامسة– ص 6 .

(2) نور الدائم ، عبدالمحمود(2012م) أزاهير الرياض،ط5،مكتبة القاهرة، ص 295–296

(3) القرطبي،أبو عبد الله محمد بن أحمد (1384هـ – 1964م)– الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي – تحقيق :أحمد البردني – وإبراهيم اطفيس – ط2 – دار الكتاب المصرية – القاهرة – ج8– ص18.

(4) عياض، القاضي(1984م)الشفاء بتعريف حقوق المصطفي – تحقيق علي محمد البجاوي –ج1 – دار الكتاب العربي بيروت– ص– 18–19.

(5) – محمد بن إسماعيل أبي عبد الله – (194–256هـ – 810–870م) صحيح البخاري –ج1– ص – 58–58–72–523–نقلاً عن الموسوعة العربية العالمية – mawsoah. net.http://www

(6) – مسلم بن الحجاج أبي الحسن– صحيحمسلم – ج8– ص145 نقلاً عن موقع الإسلام http://wwwalislam.com

(7)– (11) ،(12)، (13) ،(15)، (16) ،(17)،(18) ،(19)،(20)،(21)، سالم– عون محمد– (1427هـ – 2006م) – مخطوطه مختارات من مديح الشيخ الصابونابي–ص 3 –8– 13–19– 28– 39.

(8)،(25)،(27)_ قريب الله ، حسن الفاتح–(1995م)– إشارات الجمال والإبداع (في الفلسفة الصوفية) – ص 222 نقلاً عن د.حسين النور يوسف – من شعر المديح النبوي – ط الخرطوم – ص136–137–145.

(9)،(22)– الشايب أحمد – تاريخ النقائض في الشعر العربي– مكتبة النهضة المصرية– القاهرة– 1998– ط3 – ص 6–7.

(10)،(23)– كيلاني كامل وخليفة عبدالرحمن–(1351هـ–1932م) - ديوان ابن زيدون ط1 – مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر – ص:–165–178.

(11) ،(24) – شوقي أحمد (1990م)– الشوقيات– ج2– دار الكتاب العربي– بيروت – ص:104–122(نظم أحمد شوقي قصدته هذه التي أطلق عليها اسم (أندلسية) في منفاه بإسبانيا– وفيها يحن إلى الوطن، ويصف كثيرا من مشاهده).

(12)،(25)– النور ، حسين (2000م) مجلة مجمع اللغة العربية ،العدد الرابع ، ص 229

(13)،(26)،(28)– سالم،عون محمد–(1427هـ – 2006م) مختارات من ديوان الشيخ الصابونابي – ص37–45–78.

(14)،(29) – ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن زيد (1945م)، سنن ابن ماجه – كتاب الفتن – باب الصبر علي البلاء – ص 4018–23451

(15)،(30)– بن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(1407ه1986م) – فتح الباري في شرح البخاري– دار الريان للتراث – ص400–456.

(16)،(31)– البيهقي،أحمد بن الحسين(1408ه –1988م)– دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث– ط1 – ج6– ص178–245.

الروايات الشفهية:

+ – من نجل الشيخ الصابونابي– جودات بن الشيخ محمد– (5/2 /1986م) – رواية شفهية.

++ – العم الجاك– الحاج–(1982/5/23م) احد الذين رافقوا الشيخ الصابونابي في تلك الرحلة– رواية شفهية.